واخَـجْـلـتـي إذْ لـم أُطِـقْ بَـعـدَهُـمْ تـصـبُّـراً مِـنْ نَـظَـر الـشَّـامـتـيـنْ
مـا حِـيْـلـتـي إذْ حـالـتـي بَـعـدَهُـمْ حـالُ شِـمـالٍ فـارقَـتْـهـا يـمـيـنْ[1]

يحيى بن علي بن الحسن[2]

أبو سَعد، الحُلْواني، أحدُ أَئمَّة الشَّافعية، [تفقه على أبي إسحاق الشيرازي، ودرس بالنظامية، وذكره ابن السمعاني في «الذيل» فحكى عنه العماد في «الخريدة» قال: خرج أبو سَعد][3] من بغداد في رسالة [إلى ما وراء النهر إلى ملكها][3] محمد بن سليمان المعروف بأرسلان خان ملك ما وراء النهر في أواخر رجب [سنة عشرين وخمس مئة][3]، فتوفي هناك، وقد كان فقيراً.

ومن شِعْره: [من الطويل]

مـررتُ بـخـبَّـازٍ أُحـاوِلُ حـاجـةً مُـدِلَّاً عـلـيـه أيْ بـأنـيَ عَـالِـمُ
فـلـمَّـا رآنـي قـال أَهْـلاً ومَـرْحـبـاً ظَـفِـرْتَ بـمـا تـهـوى فـأيـنَ الـدَّراهِـمُ
فـقـلـتُ مـعـي فَـضْـلٌ وعِـلْـمٌ وخـاطـري يـجـيـشُ فُـصـولاً كـلُّـهـا لـي لـوازِمُ
فـقـال ومَـنْ هـذي الـذَّخـائِـرُ عـنـده يـحـاولُ عـنـدي حـاجـةً ويـسـاوِمُ
لـعـمـريَ لـو بِـعْـتَ الـجـمـيـعَ بـلُـقْـمَـةٍ لـمـا كـنـتُ مِـمَّـن فـي الـشِّـراءِ يـخـاصِـمُ

السَّنة الحادية والعشرون وخمس مئة[4]

فيها في المحرَّم جاء عسكرُ السُّلْطان محمود إلى باب النُّوبي ليدخلوا إلى دار الخليفة، فمنعتهم خاتون بنت السُّلطان، فجاؤوا إلى باب الغَرَبَة، فكسروه، ودخلوا إلى التّاج، فنهبوا دار الخليفة، وخَرَجَ الجواري حاسراتٍ يَلْطِمْنَ، فَدَخَلْنَ دارَ خاتون، وأُخْبِرَ الخليفة، فخرج من سُرادِقه، والوزير ابنُ صدقة بين يديه، وأمر العسكر فَعَبروا،

(١) «الخريدة»: ٢/ ٣١٩.

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٤/ ١٩٢، و «سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥١٧، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ١/ ٤٣٢.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) من هنا تبدأ نسخة أحمد الثالث ذات الرقم (٢٩٠٧)، وقد رمزتُ لها بالحرف (ح).

وسَبَحَ العَيَّارون، وعَسْكر السُّلْطان مشغولون بالنَّهْب، وفي دار الخليفة منهم نحو ألف رجل، فلما رأَوْا عسكرَ الخليفة قد عَبَروا إليهم، ذَلُّوا وانهزموا، ووقع فيهم السيف، واختفوا في السَّراديب، فَقَتَلَ عسكرُ الخليفة منهم جماعةً، وأسروا، وكان فيهم أُمراء، ونَهَبَ العوام دورَ أصحاب السُّلطان ووزيره [ودار العزيز أبي نصر المستوفي، وأبي البركات الطبيب][1]، وكان عنده ودائع، فأُخذت من داره ما مبلغه وقيمته ثلاث مئة ألف دينار، وهَرَبَ أصحابُ السُّلْطان، وقُتِلَ منهم عِدَّة وافرة في الدُّروب والمضايق، والخليفة والوزير مقيمان في الجانب الغَرْبي حتى نقل الحُرَمَ من الحريم الطّاهري، ثم عَبَرَ الخليفة إلى داره يوم السبت سابع المحرَّم، ومعه العساكر، وحرسوا المضايق، والقتالُ يعمل إلى يوم عاشوراء، وتردَّدَتِ الرَّسائلُ بين الخليفة والسُّلْطان، وقال السلطان: ابعث من يُحَلِّفني. فمالَ الخليفةُ إلى الصُّلْح، وبَعَثَ قاضي القضاة الزَّيْنبي نيفاً وثلاثين شاهداً، فحبسهم السُّلطان عنده ستة أيام، فيئس الناس من الصُّلْح، وعادوا إلى حَفْرِ الخَنادق، وقُسِمَتِ المَحَالُّ على المقدَّمين، وأجفل أهلُ الجانب الغربي خوفاً مِمَّا أسلفوا من شَتْمِ السُّلْطان، فإنهم بالغوا، وكانوا يقولون: يا باطني، لما لم تقدر على غَزْو الرُّوم جئت تغزو الخليفة والمسلمين!

ودخل يرنقش الزَّكوي على السُّلْطان، فأَغْراه بالنَّاس، فَنَفَرَ فيه، وقال: أنت قَصدُك هلاك الإسلام ونهب المسلمين، وتريد مني أن أُغَيِّر القِبْلة.

ثم تقدَّم في وقته بإحضار قاضي القُضَاة والعدول، فَصَلَّى القاضي بالسُّلْطان المغرب، وسَلَّم عليه، فأَذِنَ له في الجلوس، وقُرئ عليه مكتوبُ الخليفة، فقام وقَبَّلَ الأرض، وقال: سَمْعاً وطاعةً لأمير المؤمنين. ولم يخالف في شيء مما اقترح عليه، وحَلَفَ، وشَرَطَ على الخليفة أن لا يستخدم العساكر، ويعود إلى الحالة الأُولى. فطابتْ قلوبُ النَّاس، وفُتحت العقود، وطُمَّتِ الخنادق، ودَخَلَ [أصحاب][2] السُّلْطان البلد، وجعلوا يقولون: لنا ثلاثة أيَّامٍ ما أكلنا الخُبْز، ولولا الصلح لمتنا

(١) ما بين حاصرتين من (ح)، ولفظ: دار مثبت من «المنتظم»: ١٠/ ٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (ح).

جوعاً. وكان الخبز في الحريم رخيصاً، وفي عسكر السلطان غالياً، فما رُؤي سُلْطاناً حاصر بلداً هو المحصور إلا هذا، وظهر من السُّلْطان حِلْمٌ وافر عن العوام، وطلب أصحابُ السُّلْطان من الخليفة ما نُهِبَ من دورهم، فقبض على عالم كثير من العوام، واسترجع منهم البعض، ثُمَّ بَعَثَ الخليفة إقبال الخادم وابن الأنباري وابن الصَّاحب إلى السُّلْطان بخيلٍ كثيرة وبغالٍ وجواشن وتخوت ثياب، وأنزل الوزير ابن صدقة في الزَّبزب، والكلُّ بين يديه في السُّفن، وصَعِدوا إلى دار السُّلْطان، وكان يوماً عظيماً، فدخلوا إلى السُّلْطان فقام، وقَبَّل الأرض، ودعا للخليفة. وجاء وزير السُّلْطان إلى الخليفة، فأكرمه كرامةً لم يُكْرَم بها قَطُّ وزير.

ومَرِضَ السُّلْطان مرضاً صَعْباً، فبعث إليه الخليفةُ بمالٍ وشراب، وأدويةٍ وألطاف، فَصَلُحَ، ثم انتكس وأُرجف عليه، وكان الخليفة قد هَيَّأَ له الخِلَع، فمنعه المرض، وأشار عليه الطبيب بالخروج من بغداد، فبعث الخليفة إليه بالخِلَع وهو مطروحٌ على جنبه، فأُرميت عليه.

وقيل: إنَّ سبب مرضه أَنّه ركب يوماً في ميدان الحلبة، فأصابه غَشْي، فَسَقَطَ من فرسه، وحُمِلَ إلى داره، فأُرجف بموته وحُمِلَ في مِحَفَّةٍ، وأَمَرَ أَنْ يُمَرَّ به تحت منظرة الخليفة، فلما وَصَلَ إليها أمر أنْ يُحَطَّ هناك، وبَعَثَ إلى الخليفة يقول: ما أصابني هذا إلا عقوبة لما بدا مني، وأسأل العفو، وأن لا تدعو عليَّ. فأجابه الخليفة، وطَيَّبَ قلبه.

وسار إلى الجبل ثاني عشرة ربيع الآخر، وولَّى شحنكيَّة بغداد بِهْرُوز الخادم، وولى المَوْصِل زَنْكي بن آق سُنْقُر، فلمَّا وَصَلَ السُّلْطان هَمَذَان جاءته رسل سنجر تلومه على ما فَعَلَ ببغداد، وتقبِّحُ عليه ذلك، وبَعَثَ سنجر إلى الخليفة رسولاً يعتذر إليه مما جرى من محمود[1].

وفي هذه الواقعة يقول الأرَّجاني[2] من قصيدة: [من البسيط]

لقد رأى اللهُ ما أبدى خليفَتُهُ ... وما أعادَ من الأَمْرِ الذي اشتهرا
خلافةٌ ورَّثَتْها السَّابقونَ له ... وراثةً قد نَفَوْا عن صَفْوِها الكَدَرا

(١) انظر «المنتظم»: ١٠/ ٢ ـ ٥، و«الكامل»: ١٠/ ٦٣٥ ـ ٦٣٨.

(٢) هو أحمد بن محمد، أبو بكر الأرجاني، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٤٤ هـ) من هذا الكتاب.

سَفَّاحُهُمْ بعدَهُ المنصورُ يَتْبَعُهُ الـ ـمهديُّ، ثُمَّ اقتفى الهادي له الأثرا
ثُمَّ الرَّشيدُ وأبناءٌ له نُجُبٌ ثلاثةٌ للهُدَى أَعْزِزْ بهم نَفَرا
أمينُ مُلْكٍ ومأمونٌ ومُعْتَصِمٌ وواثِقٌ وكفى فَخْراً بمَنْ فَخَرا
ومَنْ تَوَكَّلَ فيما قد تَقَلَّده ومَنْ دَعُوه لأَمْرِ الله مُنْتَصِرا
ومستعينٌ له المُعْتَزُّ مرتَدِفٌ والمهتدي بَعدَهُمْ أبقى له سِيَرا
وقامَ مُعْتَمِدٌ يتلوه مُعْتَضِدٌ ومكتفي مُعْقِبٌ للمُلْكِ مُقْتَدِرا
والقاهر القَرْم[1] والرَّاضي ومتقياً فاذْكُرْ ومستكفياً مِنْ بعده ذُكرَا
ثُمَّ المطيعُ يليه الطَّائع ارْتَفَعَتْ عَلْياه بالقادر العالي إذا قَدَرا
وقائِمٌ قد تلاه مُقْتدي سَبَقَا أيام مستظهرٍ بالله قد ظَهَرا
عشرون يَتْبَعُهُمْ منهم ثمانيةٌ كانوا المنازِلَ والمسترشدُ القَمَرا[2]

وفيها عند خروج السلطان من بغداد سار زَنْكي إلى المَوْصِل، وقُتِلَ ابن البُرْسُقي، لما قُتِلَ ولي ابنُه مسعود المَوْصِل، فلما دخل السُّلْطان محمود بغداد اتَّفق القاضي بهاء الدين الشَّهْرُزُوري ونصير الدِّين جَقَر[3] وصلاح الدين محمد الياغبساني[4] على النزول إلى بغداد، فأخذوا أموالاً كثيرة، وانحدروا ليخدموا بها السُّلْطان محمود ليقرَّ مسعود ابن البُرْسُقي على ولاية المَوْصِل[5]، فلما وصلوا ارتأَوْا وقالوا: هذا صبيٌّ، وربما لا يقوم بالأمر فيكون عيباً علينا، فقالوا: حتى نجتمع بابنِ قسيم الدَّوْلة زَنْكي بن آق سُنْقُر، وكان شحنة بغداد في تلك السَّنة. فاجتمعوا به، واستحلفوه على أن يكون القاضي بهاء الدين قاضي قُضاة البلاد والأمور الدينية إليه، وتقدمة العساكر لصلاح الدِّين، وولاية البلد وغيره لنصير الدين، فَحَلَف لهم، وتقَرَّرَ الأمر، وقَدَّموا المال

(١) القرم من الرجال: السيد المعظَّم. «اللسان» (قرم).

(٢) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء أهل فارس: ٣/ ٢٥٥-٢٥٦.

(٣) في (ع) و(ح)، جعفر، وهو تحريف، والمثبت من «وفيات الأعيان» ١/ ٣٦٤-٣٦٦، وانظر «كتاب الروضتين»: ١/ ١١٦ بتحقيقي.

(٤) في (ع) و(ح): الثعلباني، وهو تحريف، والمثبت من «كتاب الروضتين»: ١/ ١١٥.

(٥) في هذا القول وهم، إذ إن مسعوداً ولي بعد مقتل أبيه آق سنقر البرسقي، ثم ما لبث أن توفي، فولي بعده أخ له صغير، ومن ثم جرى له ما جرى، انظر تفصيل ذلك في «كتاب الروضتين»: ١/ ١١٥ ـ ١١٦، و«الكامل» لابن الأثير: ١٠/ ٦٤٣، وانظر ص٢٠٨ من هذا الجزء.

للسُّلْطان، فأجابهم إلى ذلك، وبعث مع زنكي ابني السُّلْطان ألب رسلان والخفاجي، وجعله أتابكهما، فدخل المَوْصِل في هذه السنة. وقيل: في سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة.

وفيها وردتِ الأخبارُ أَنَّ السُّلْطان محموداً لما وصل هَمَذَان قَبَضَ على العزيز وصادره واعتقله، وعلى وزيره أيضاً، وسببه أَنَّ الوزير تكلَّم في العزيز، ويرنقش الزَّكوي تكلَّم في الوزير، وقال للسُّلْطان: هذا أَخَذَ الأموالَ من الخليفة، واتفق مع وزيره ابن صَدَقَة على أن يُرَحِّلاك من بغداد، ولا تبلغ غرضاً، فكلُّ ما جرى عليك منه.

[قلت: وهذا العزيز هو عم العماد الكاتب الأصفهاني، وسنذكره في سنة ست وعشرين وخمس مئة][(١)].

وفيها بَعَثَ السُّلْطان إلى أنوشروان وهو مقيمٌ بالحريم الطَّاهري ببغداد ليستوزره، فلم يكن عنده شيء، فجهَّزه الوزير ابن صَدَقة والخليفة بالخِيَم والدَّوابّ وغيرها، وسار إلى هَمَذَان، فأقام وزيراً عشرة أشهر، ثم استعفى، وعاد إلى بغداد.

وفيها ثارتِ الفِتَنُ ببغداد، وسببه أبو الفتوح[(٢)] الإسْفَراييني، فإنَّه كان يعظ ويَذْكُرُ مذهبَ الأَشْعري، ويورد أحاديثَ وأشياءَ على مذهب القُصَّاص.

جلس يوماً بالنِّظامية وقال: قيل لرسولِ الله ﷺ: كيف أصبحتَ؟ فقال: أعمى بين عُمْيان، ضالًّا بين ضُلَّال[(٣)]. فأحضره الوزير ابنُ صَدَقة، وأحضر الفقهاء، فأفتوا بقَتْلِهِ، فاستقرَّ أن يُجدِّدَ إسلامه ويشدَّ الزِّنَّار[(٤)] ويتوب، ومُنِعَ من الجلوس، وعاد فجلس، فَرُجِمَ.

وكان يركبُ وعليه السِّلاح، ويُسْقِطُ حُرْمةَ المُصحف عند العوام، فاجتاز يوماً بسوق الثّلاثاء، فَرُجِمَ، ورموا عليه الميتات.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر ص٢٤٢-٢٤٤ من هذا الجزء.

(٢) في (ع) و(ح): أبو الفرج، وهو تحريف، والمثبت من «المنتظم»: ١٠/ ٦، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٣٨هـ).

(٣) لم أقف عليه في كتب الموضوعات على نكارةِ متنه.

(٤) انظر حاشيتنا رقم ٤ ص ١٩٦ من هذا الجزء.

وكان يقول: ليس هذا الذي نتلوه كلام الله إنَّما هو عبارةٌ عنه. ووجدوا عند بعضِ أصحابه مُصحفاً وبين كلّ سطرين بيتُ شِعْرٍ، فأَمَرَ الخليفةُ بأَنْ يُخْرَجَ الإسفراييني من بغداد، ثم تعصَّب له قومٌ على مِثْلِ رأيه، فجلس، وظهر الشَّيخ عبد القادر الجِيلي، وجلس في الحلبة، ومالَ إليه النَّاس، وانتصر الحنابلة، فزال ما قَرَّر الإسفراييني من قلوب النَّاس، ورُزِقَ الشيخ عبد القادر القَبُول التَّام[١].

وفيها قَتَلَ الباطينةُ وزيرَ السُّلْطان سنجر، وكان قد أفنى منهم اثني عشرة ألفاً، فبعثوا إليه سائساً يخدمه في إصطَبْله مُدَّةً إلى أن وجد الفُرْصة، فدخل الوزير يوماً يفتقد دوابَّه، فوثَبَ عليه، فقتله، وقُتِلَ بعده[٢].

وفيها سافر بغدوين صاحبُ القُدْس إلى وادي موسى، فنهب أهلَه، وشَرَّدهم عنه[٣].

وفيها قيل: ماتَ مسعود بن البُرْسُقي بالرَّحبة، وكان في عَزْمِهِ أخذُ دمشق[٤].

وفيها توفي

أحمد بن [أحمد بن] عبد الواحد[٥]

ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن المتوكل على الله، أبو السَّعادات.

سمع الحديث الكثير [ولقي الشيوخ][٦]، ووقع ليلة الخميس سابع عشرين رمضان من سَطْحه بمحلَّة التُّوثة، فماتَ، ودُفِنَ بمقبرة [باب][٦] الدَّيْر عن ثمانين سنة، [سمع أبا الغنائم ابن المأمون، وأبا جعفر بن المسلمة، والخطيب وغيرهم. وذكره جدي في «مشيخته» وقال: ولد سنة إحدى وأربعين وأربعة مئة، وكان صحيح السماع، وسمعتُ منه][٦].

---

(١) انظر «المنتظم»: ١٠/ ٦ ـ ٧.

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٤٤.

(٣) المصدر السالف: ٣٤٧.

(٤) المصدر السالف: ٣٤٤.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٧٢ ـ ٧٤، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٤٩، و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨، و«عيون التواريخ» وفيات سنة (٥٢١هـ)، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٢، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٦٤، وما بين حاصرتين من مصادر ترجمته.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المشيخة»: ٧٣-٧٤.

[فصل: وفيها توفيت

فاطمة بنت الحسين[١]

ابن الحسن بن فَضْلويه الرازي، كانت واعظةً متعبِّدة، لها رِباطٌ تجتمع فيه الزَّاهدات، سمعت الكثير وروت الكثير من الحديث، وكانت صالحةً، توفيت في ربيع الأول، سمعتْ أبا جعفر بن المسلمة، وأبا بكر الخطيب وغيرهما، وذكرها جدي رحمه الله في «مشيخته»، فقال: سمعتُ عليها بقراءة أبي الفَضْل محمد بن ناصر كتاب «ذم الغيبة» لإبراهيم الحربي، ومن مجالس ابن سمعون بروايتها عن ابن النَّقور [عنه][٢]، و«مسند» الشافعي وغير ذلك][٣].

هبة الله بن علي بن إبراهيم[٤]

أبو المعالي الشِّيرازي. كان من أكابر الفُضَلاء، ومن شِعْره [ذكره ابن السمعاني][٥]: [من الوافر]

أَحِنُّ إلى أُناسٍ قد أَنِسْنا ... بقربهُمُ زماناً ثم غابوا
ونعلَمُ أَنَّنا لا بُدَّ يوماً ... نتابعُهُمْ فيَجْمَعُنا التُّرابُ
فيارَبَّ الورى عَطْفاً علينا ... فليسَ إلى سِواك لنا مآبُ

السَّنة الثَّانية والعشرون وخمس مئة

فيها وصل عليُّ بن طِراد من عند سنجر ومعه رسولٌ، فطلب الرَّسول أن يَخْطُبَ على منابر بغداد في الجُمَع، فأَذِنَ له في كل جُمُعة في جامعٍ.

---

(١) لها ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧ ـ ٨، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٢٠٥ ـ ٢٠٦، وفي «المشيخة»: فاطمة بنت محمد بن الحسين.

(٢) ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/ ٨.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «مشيخة ابن الجوزي»، و«المنتظم».

(٤) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٢٧/ ٢٩٣ ـ وفيه وفاته سنة (٥٢٠هـ) ـ و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٢.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).